الباب الثانى

فيما اخترناه من شعر أبى نواس الحسن بن هانئ

قال أبو نواس:

رَكْبٌ تَسَاقَوا عَلَى الأَكْوَارِ بَيْنَهُمُ
كَأسَ الْكَرَى فَانْتَشَى المسْقِيُّ وَالسَّاقِى
كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمْ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا
عَلَى المَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْنَاقِ
سارُوا فَلَم يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ
حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِشْرَاقِ

يقول إنهم ساروا ليلهم كله ولم ينيخوا حتى أتوكم قبل الشروق.

مِنْ كُلِّ جَائِلَةِ التَّصْدِيرِ نَاجِيَةٍ مُشْتَاقَةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَاقِ

جائلة التصدير يريد ناقة ضامرة جال صدرها.

ومن أحسن ما قيل فى السير والسرى، قول الآخر:

أنا فى السرى والسير كالطفل الذى
يجد السكون إذا تحرك مهده

وقال بعضهم فى الرد على من يقول إن فى السفر به يبلغ الوطر:

كم سفرة نفعت وأخرى مثلها ضرت ويكتسب الحريص ويخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره وبه إذا حرم السعادة يمحق

وقال أيضًا:

وَلَقَدْ تَجُوبُ بِيَ الْفَلاةَ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَقَالَتِ الْعُفْرُ

صام النهار: أى قام قائم الظهيرة، والعفر: الظباء، وقالت من القيلولة،

وهى لا تقيل إلا إذا اشتد الحر، قال الحارث بن حلزة:

حتى إذا التفع الظباء بأطراف الظـلال وقلن فى الكنس
شَدَنِيَّـةٌ رَعَـتِ الْحِمَى فَأَتَتْ مِلءَ الْحِبَـالِ كَأَنَّهَـا قَصْرُ

الشدنيات من النوق منسوبة إلى موضع باليمن، وتشبيه الناقة بالقصر قديم، قال عنترة:

فوقفت فيهـا ناقتى وكأنها فدن لأقضى حاجة المتلوم

والفدن القصر.

تَثْنِى عَلَى الْحَاذَيْنِ ذَا خُصَلٍ تَعْمَـالُهُ الشَّذْرَانُ وَالْخَطْرُ

الحاذان تثنية حاذ وهو ظاهر الفخذ، وذا خصل يعنى ذنب الناقة، والخصل قطع الشعر، يقول إنها تضرب فخذها بذنبها، وتعماله الشذران والخطر، أى تضرب به يمينًا وشمالاً.

أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِذَةً فَتَقُـولَ رَنَّقَ فَوْقَهَا نَسْرُ

يقال شمذت الناقة تشمذ أى لقحت فشالت بذنبها يقول إن رفعت ذنبها حلق فوقها كأنه نسر.

أَمَّا إذا وَضَعَتْـهُ عارضَـةً فَتَقُولُ أُرْخِىَ فَوْقَهَا سِتْرُ

وفى هاتين الحالتين يقول طرفة:

فطـورًا به خلف الزميل وتارة إلى حشف كالشن ذاو مجدد
وَتُسِفُّ أَحْيَـانًا فَتَحْسَبُهَـا مُتَرَسِّمًا يَقْتَـادُهُ إِثْـرُ

وتسف أى تشدد النظر وتحده، والإثر الأثر، قال القائل:

على إثر حى عامـدين لنيـة فحلوا العتيق أو ثنية مطرق

يقول إنها تنظر لأعطاف الطرق وتتأملها كأنَّها قائف ينظر إلى أثر ويتتبعه.

فإذا قَصَرْت لَهَا الزِّمَامَ سَمَا فَوْقَ الْمَقَـادِمِ مِلْطَمٌ حُرُّ

الملطم الخد.

فَكَأَنَّهـا مُصْغٍ لِتُسْمِعَـهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ بِأُذْنِهِ وَقْرُ

هذا كقول مسلم:

والعيس عاطفة الرُّءوس كأنما ... يطلبن سر محدّث فى الأحلس
يَرْمِى إِلَيْك بِهَا بَنُو أَمَلٍ ... عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ

وقال أيضًا وقد نهاه الأمين عن شرب الخمر:

أَيُّهَا الرَّائِحَانِ بِاللَّوْمِ لُوْما ... لا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلاَّ شَمِيما
فاصْرِفَاهَا إِلى سِوَايَ فَإِنِّى ... لَسْتُ إِلاَّ عَلَى الْحَدِيث نَدِيما
كبْرُ حَظِّى مِنْهَا إِذَا هِىَ دَارَت ... أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشَمَّ النَّسِيمَا
فَكَأَنِّى وَمَا أُزَيِّنُ مِنْهَا ... قَعَدِىٌّ يُزَيِنُ التَّحْكِيمَا

رجل قعدى منسوب إلى القعد والقعد الشراة الذين يحكمون ولا يحاربون ولا يتخذون لهم ديوانًا، والقعد جمع قاعد كما قالوا حارس وحرس.

كَلَّ عَنْ حَمْلِهِ السِّلاَحَ إلى الْحَرْبِ ... فأَوْصَى الْمُطِيقَ أَنْ لا يُقِيمَا

وقال أيضًا:

وَبِتْنَا كَغُصْنَى بَانَةٍ عَطَفَتْهُمَا ... مَعَ الصُّبْحِ رِيحَا شَمْأَلٍ وَجَنُوبِ
إِلَى أَن بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ ... مَبَادِى نُصُولٍ فِى عِذَارٍ خَضِيبِ

وقال أيضًا فى الخمر:

كَأَنَّ بَقَايَا مَا عَفَا مِنْ حَبَابِهَا ... تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِى سَوَادِ عِذَارِ
تُعَاطِيكَهَا كَفٌّ كَأَنَّ بَنَانَهَا ... إِذَا اعْتَرَضَتْهَا الْعَينُ صَفُّ مَدَارِ

وقال أيضًا:

إِذَا كَانَ إِبْراهِيمُ جَارَكَ لَمْ تَجِدْ ... عَلَيْكَ بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ مُتَقَدَّمِ
لَقَدْ حَطَّ جَارُ الْعَبْدَرِىِّ رِحَالَهُ ... إِلَى حَيْثُ لاَ تَرْقَى الْخُطُوبُ بِسُلَّمِ

العبدرى، نسبة إلى عبد الدار، يريد أن جار هذا الممدوح يأمن خطوب الزمان.

وَجَدْنَا لِعَبْدِ الدَّارِ جُرْثُومَ عِزَّةٍ ... وَعَادِيَّةً أَرْكَانُهَا لَمْ تُهَدَّمِ

عبد الدار هو ابن قصى أخو عبد مناف، وعادية أى قديمة نسبة إلى عاد يريد

مناقب عريقة في الكرم.

إذا اشْتَعَبَ النَّاسُ الْبُيُوتَ فَإِنَّهُمْ ... أُولُو اللهِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُحَرَّمِ
إِلَيْكَ ابْنَ مُسْتَنٍّ الْبِطَاحِ رَمَتْ بِنا ... مُقَابَلَةٌ بَيْنَ الْجَـدِيلِ وَشَدْقَمِ

الجديل وشدقم فحلان كريمان تنسب إليهما كرام الإبل، يقول سارت بنا إلى هذا الممدوح إبل مقابلة الطرفين من جديل وشدقم أمهاتها لجديل وآباؤها لشدقم أو بالعكس.

مَهَارَى إِذَا أُشْرِعْنَ حَرَّ مَفَازَةٍ ... كَرَعْـنَ جَمِيعًا فِي إِنَاءٍ مُقَسَّمِ
نَفَخْنَ اللُّغَامَ الْجَعْـدَ ثُمَّ ضَرَبْنَهُ ... عَلَى كُلِّ خَيْشُـومٍ نَبِيلِ الْمُخَطَّمِ
حَدَابِيرُ مَا يَنْفَكُّ فِي حَيْثُ بَرَّكَت ... دَمٌ مِنْ أَظَلَّ أَوْ دَمٌ مِنْ مُخَـدَّمِ

حدابير أي قوست من طول السير، والأظل باطن الخف، والمخدم من الناقة موضع الخلخال من المرأة، يريد أن هذه النوق نقبت فالدم يجرى من أظلها.

وقال أيضًا:

دَعْ عَنْـكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ ... وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
قَامَتْ بِإِبْرِيقِهَـا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ ... فَلاَحَ مِنْ وَجْهِهَا فِي الْبَيْتِ لألاَءُ

وقال بعضهم:

فدونك قهـوة لم يبق منهـا ... تقـــادم عهـدها إلا الأقلا
بزلنـــا دنهـــا والليـــل داج ... فصيرت الدجى شمسًا وظـلا
فأرْسَلَتْ مِنْ فَمِ الإِبْرِيقِ صَافِيَةً ... كَأَنَّمَا أَخْذُهَـا بِالعَيْنِ إِغْفَاءُ
دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ ... فَمـا يُصِيبُهُمُ إلا بِمَـا شَاءُوا

وقال أيضًا:

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ ... كَطَلْعَـــةِ الأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ
وَانْعَـــدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَآبِهِ ... كَالْحَبَشِيِّ افْتَرَّ عَنْ أَنْيَـابِهِ
هِجْنَا بِكَلْـبٍ طَالَمَا هِجْنَا بِهِ ... كَـأَنَّ مَتْنَيْـهِ لَدَى انْسِلاَبِهِ

هجنا به أي هجنا الصيد به.

مَتْنُ شُجَاعٍ لَجَّ فِى انْسِيَابِهِ كَأَنَّمَا الأُظْفُورُ فى قِنَابِهِ

الشجاع الثعبان، والقناب مقر الظفر.

مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فى نِصَابِهِ تَرَاهُ فى الْحَضْرِ إِذَا هَا هَابِهِ

الصناع الحاذق، وهابه أى أغراه عَلَى الصيد.

* يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ *

الإهاب: الجلد.

وقال أيضًا ينعت كلبًا لسعته حية فمات:

خَرَجْتُ وَالدُّنْيَا إلى تَبَابِ بِهِ وَكَانَ عُدَّتِى وَنَابِى

أَصْفَرَ قَدْ ضُرِّجَ بِالْمَلاَبِ كَأَنَّمَا يُدْهَنُ بِالزِّرْيَابِ

الملاب نوع من الطيب أصفر اللون كالزعفران، والزرياب الذهب.

فَبَيْنَمَا نَحْنُ بِهِ فِى الْغَابِ إِذْ بَرَزَتْ كَالِحَةُ الأَنْيَابِ

كالحة الأنياب يعنى حية.

رَقْشَاءُ جَرْدَاءُ مِنَ الثِّيَابِ كَأَنَّمَا تُبْصِرُ مِنْ نِقَابِ

فَعَلِقَتْ عُرْقُوبَهُ بِنَابِ فَخَرَّ وَانْصَاعَتْ بِلاَ ارْتِيَابِ

كَأَنَّمَا تَنْفُخُ مِنْ جِرَابِ

وقال بعضهم يصف ثعبانًا:

ينظر من عين بلا حملاق إن نام لا يكلؤها بماق

يشم منك موضع النطاق بوخذة من ذرب حذاق

يكتمه فى هرت الأشداق ليك من حديدة الحلاق

ترى عَلَى اللبات والتراقى إهالة من سمه المراق

مثل القذى لجلج فى المآقى

وقال أيضًا:

مَا زِلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الدَّنِّ فِى لَطَفٍ

وَأَسْتَقِى دَمَهُ مِنْ جَوْفِ مَجْرُوحِ

حَتَّى انْثَنَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِى جَسَدِى
وَالدَّنُّ مُنْطَرِحٌ جِسْمًا بلا رُوحِ

وقال أيضًا:

لِمَنْ دِمَنٌ تَزدادُ حُسْنَ رُسُومِ ... عَلَى طُولِ مَا أَقْوَت وَطِيبَ نَسِيمِ
تَجَافَى الْبِلا عَنْهُنَّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... لَبِسْنَ عَلَى الإِقْوَاءِ ثَوْبَ نَعِيمِ
وَمَا زَالَ مَدْلُولاً عَلَى الرَّبْعِ عَاشِقٌ ... حَسِيرُ لُبَانَاتٍ طَلِيحُ هُمُومِ
يرى النَّاسَ أَعبَاءً عَلَى جَفْنِ عَيْنِهِ ... وَلَوْ حَلَّ فى وَادِى أَخٍ وَحَمِيمِ
يَودُّ بجَدْعِ الأَنفِ لَوْ أَنَّ ظَهْرَهَا ... مِنَ الإِنْسِ أَعْرَى مِنْ سَرَاةِ أَدِيمِ

وقال أيضًا:

أما تَرَى الأَرْضَ مَا تَفْنَى عَجَائِبُهَا ... وَالدَّهْرُ يَخْلُطُ مَيْسُورًا بِمَعْسُورِ
لَيْسَ لِلْهَمِّ إِلاَّ كُلُّ صَافِيَةٍ ... كَأَنَّهَا دَمْعَةٌ فِى عَيْنِ مَهْجُورِ

وقال أيضًا:

وشَرَابٍ أَلَذَّ مِنْ نَظَرِ الْمَعْشُوقِ ... فِى وَجْهِ عَاشِقٍ بابْتِسَامِ
لاَ غَلِيظٌ تَنْبُو الطَّبِيعَةُ عَنْهُ ... نَبْوَةَ السَّمْعِ عَنْ شَنِيعِ الكَلاَمِ

وقال أيضًا:

لَمْ تَرضَ عَنِّى وَإِنْ قَرَّبْتَ مُتَّكَئِى
يَا رَاضِيَ الْوَجْهِ عَنِّى سَاخِطَ الْجُودِ
بَلِ اسْتَتَرْتَ بِإِظْهَارِ الْبَشَاشَةِ لى
وَالْبِشرِ مِثْلَ اسْتِتَارِ النَّارِ فى الْعُودِ

وقال أيضًا:

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعْنَ ... مِنْ أَزْرَارِهِ قَمَرَا
بِوَجْهٍ سَابِرِيٍّ لَوْ ... تَصَوَّبَ مَاؤُهُ قَطَرَا
يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا ... إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

وقال أيضًا:

يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ يَا عَبْدَ الْمَلِكْ وَاثِقًا أَقْبَلْتَ بِاللهِ وَبِكْ
أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَصْلَحْتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكْ

وقال أيضًا:

ودَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا
بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى
وَأَضْغَاثُ رَيْحَانٍ جَنِيٌّ وَيَابِسُ
حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ
وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَحَابِسُ
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ
حَبَتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارَتُهَا كِسْرَى وَفِي جَنَبَاتِهَا
مَهَا تَدَّرِيهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ
فَلِلرَّاحِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا
وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

قال ابن المزرع سمعت الجاحظ يقول لا أعرف شعرًا يفضل هذه الأبيات التي لأبي نواس ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال: والله يا أبا عثمان إن هذا لهو الشعر، ولو نقر لطن، فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف.

وقال بعضهم يصف قتالاً:

أأميم لو شاهدت يوم نزالنا والخيل تحت النقع كالأشباح
تطفو وترسب في الدماء كأنها صور الفوارس في كئوس الراح

* * *